

التصور العرفاني ودوره في بناء النحو التعليمي

د/جميلة عبيد¹*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف – ميله1 djamila.abid@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإيداع: 2025/04/01

تاريخ المراجعة: 2025/08/17

تاريخ النشر: 2025/12/27

ملخص:

أولى علماء اللغة عناية فائقة بالنحو بعد الجمع والتأليف لتستقيم ألسنتهم في ترتيلهم القرآن ترتيباً صحيحاً، ولوضع اللغة في قالب صحيح قيده في مؤلفاتهم ومصنفاتهم تركوها للمتعلمين يتعلمونه بأصوله وتطبيقاته، ولصعوبة القواعد النحوية تولت المجامع اللغوية قضية النحو لتزيل غموضه واضطرابه، وبعدها تبنى اللسانيون نظرية النحو، ووضعوا له نظريات أفادت حيناً وفشلت في حين آخر إلى أن ظهرت العرفانية فهي من أخصب الدراسات المعاصرة، تهتم بإعادة بناء النحو ووضع آليات اشتغال الذهن البشري، فهو المقوم الأساسي لوضع تصوّر عرفاني لبناء النحو: فما هي آليات بناء النحو العرفاني؟ وهل يمكن للتصور العرفاني إعطاء بناءً جديداً للنحو وإكسابه للطلاب؟.

كلمات مفتاحية: تعليمية النحو، صعوبة النحو، التنظير العرفاني، آليات بناء النحو.

Abstract:

Linguists gave great attention to grammar after the stages of collection and compilation, in order to refine their speech and recite the Qur'an correctly. They fulfilled their mission by placing the language in a proper framework, recording it in their books and writings, which they left as a curriculum and set of rules for learners to study in both its principles and applications. In recent times, linguists have adopted the didactics of grammar, but due to its difficulty, many students became discouraged. As a result, linguistic academies took on the task of simplifying grammar, and new theories emerged to address the teaching of grammar. Among these, Cognitive Grammar appeared as one of the most fertile areas of contemporary study, focusing on the mechanisms of the human mind, which is essential for developing a cognitive approach to grammar. So, what are the mechanisms for constructing cognitive grammar? And can the cognitive conceptualization provide a new structure for grammar and help convey it to students ?.

Keywords: Teaching of grammar, Difficulty of grammar, Epistemological theory, Mechanisms for building grammar

* جميلة عبيد.

تمهيد:

في إطار التحولات العلمية التي برزت في الدراسات اللغوية جاءت النظرية العرفانية على أنقاض بعض النظريات التي سادت طويلا إلى أن وصلت إلى طريق مسدود في وجه متعلم النحو خاصة إذا كان ما يُقدّم للدرس نظرية نحوية اتّسمت بالصعوبة فجرت عليه السبّ والنفور من النحو كلّ إلى علوم أخرى، ولضرورته تولت العرفانية ضمن علوم أخرى فلسفية ونفسية وعصبية، وحوسبيه مهام بناء النحو العرفاني، وفي ضوء تصور قائم على أصول عقلانية، وظيفته لتبسيط المادة النحوية، وتقديم الحدّ الأدنى المطلوب لتعلّمه. تطور هذا العلم ليواكب العلوم الحديثة كاللسانيات التي أعطت الكثير من تحليلاتها، وتنظيرها لزمن طويل إلى أن حان وقت تغير وجهة الدراسة إلى تنظير جديد في ضوء العرفانية التي تبنت العلوم اللغوية بما فيها النحو الذي يعدّ عمود اللغة وصحيحها.

أولا-تعريف العرفانية:

ورد في لسان العرب "عرف، العرْفَانُ، العلم، قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عَرَفَةً وَعَرَفَانًا وَمَعْرِفَةً وَاعْتَرَفَهُ"¹.

عن الجرجاني المعرفة هي: "ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمّرات والأعلام والمهمات وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم؛ ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالِم دون العارف. العارف: وهو مسبوق بنسيان حاصل بعد العلم فلذلك يسمى الحق، الحق تعالى بالعالم دون العارف"².

في تعريف آخر "العرفان كالمعرفة إدراكٌ بتفكير وتدبّر، فهو أخصّ من العلم ويُقال فلان يعرف الله، ولا يُقال يعلم الله، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكير، ويضاد المعرفة الإنكار، والعلم الجهل"³.

فالعرفان هو المعرفة بالشيء المدرك وهو في صورته الحقيقية، وهو المعروف لا المعلوم، فالعلم لله تعالى والمعرفة ما عرفه الانسان ليتعلمه.

وعن الأزهر الزناد هي: تسمية عامة على تيار أو حركة تجمع عدد من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكّنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاغليها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها.⁴

وفي تعريف آخر: النظرية العرفانية هي اتجاه فكري علمي أقرب إلى أن يكون مشروع بحث في العلوم الطبيعية، لأنه ناتج عن تطور البيولوجيا، ولا سيما علم وظائف الأعضاء، وتقدم الباحثين في سبر أغوار الدماغ، وماتج عنه من آمال في الوظائف العليا كالإدراك والذاكرة واللغة وغيرها.⁵

وبالتالي العرفان في الاصطلاح علم طبيعي، ناتج عن تطور بيولوجي، يُؤخذ عن طريق شاهد المشاهدة القبلية للمعرفة شرط أن تكون تلك المعرفة بواسطة حاصل العقل بفضل التجربة الحسية.

والعرفانية علم يسعى إلى فهم الكيفية التي يعمل بها عقل الإنسان لإدراك المعرفة، وهي التي تكشف عن القدرات العقلية للمتعلم.

1. -تعريف النحو:

النحو من منظور اللساني: هو قائمة منظمة من الأبنية اللغوية التي تواضع عليها متكلمو اللغة التي تمثل المعرفة المشتركة التي لكلّ منهم بشأن اصطلاح لغوي قائم متفق عليه.⁶

2. تعريف النحو العرفاني:

والنحو هو مجموعة من العمليات الذهنية التصورية المعالجة للمعلومات،⁷ يقوم على ثلاث وحدات أساسية: دلالية، صومتيّة، ورمزية. و الوحدة الرمزية تتكون من قطب دلالي و قطب صومتيّ رمز.⁸ فقوم النحو العرفاني أبنية رمزية تتضمن الواحدة منها بنية دلالية وبنية صومتيّة، وهي نوعان بسيطة ومركبة، والبسيط منها لا يقبل القسمة أو لا يتضمن وحدة رمزية أصغر. إذ يجري التجمع بين البسيطة منها لتكوين المركبة منها، ولا حدّ نظرياً لدرجات الترّكّب، حيث تخدمنا هذه التجمعات الرمزية في وصف المعجم والنحو اللذين يكوّنان استرسالاً.⁹

كما يفرض التداخل والتقاطع مع الصرف والدلالة والمعجم وبالتالي تكتمل نظرية النحو العرفانيّ بشملها لكلّ مستويات اللغة، فهي لا تعنى بالنحو فقط بل ولكلّ أبنيتها الشكلية والتقديرية منها البسيطة أو المركبة الأصلية أو الفرعية أو التوليدية التحويلية للجملة أو المفردة ذات التركيب الصوتي والصرفي والدلالي¹⁰. وبهذا يكون التنظير العرفاني جمع شمل المستويات لدراسة اللغة.

ثانيا- النحو العرفاني عند لانفاكر Langacker:

خالف لانفاكر Langacker في بناء النحو العرفاني نظريات لسانية سابقة معتمدا على تصحيح ماضيعوه من الظواهر اللغوية، فبعد التخلي عن التصورات القديمة دعى رونالد لانفاكر Ronald Langacker إلى توفير التفسير للقضايا الأساسية؛ فاعتمد على الذهن وعلى العمليات الذهنية العرفانية، و وضع مشروعه، بتحديد التصوّر العرفاني لبناء النحو¹¹. من أهم ما عتمده في تنظيره:¹²

— تحليل مفهوم التصور العرفاني النحوي خلافا لغيره يعتمد " جمهور اللسانيين ذلك جهازا مشتقا من المنطق الصوري .

— لم يقبل الانفصال بين الإعراب والصرف والدلالة و المعجم " خلاف لسائر النظريات التي تتصور الإعراب مكونا شكليا قائما بذاته، إذ يرى لانفاكر وصف البنية اللغوية وصفا كاملا يجمع بين جميع مظاهرها و تأكيده على إقامة نظريات ودعمها. تفاديا لكثرة النظريات التي خلقت الفوضى في الدرس اللغوي.

كانت هذه أهم الأسس التي انطلق بها لانفاكر Langacker لوضع تصور عرفاني لبناء آليات النحو العرفاني.

1. علم اللغة العرفاني:

يرتبط علم اللغة المعرفي ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل العمليات العقلية التي تصل بالمعرفة الانسانية، والإدراك بشكل عام و " اللغة في التفكير العرفاني هي العرفنة البشرية وهي الملكة اللغوية المركوزة في المولدة النفسية العامة، وبالتالي لم يعد يُعتمد على النظام اللغوي على أنه النموذج التفسيري¹³، بل هو عملية تنظيم المعلومات في الذهن و هي الأداة لذلك، فضبط أقسام الكلم يقوم "على أساس إدراكي موسوعي أي على أساس تناسب بين تصورنا للغة على أنها إمكانات تسمح أو لا تسمح ببناء المتكلم لوضعيته وفق ما اكتسبه من محيطه الثقافي الواسع أو الضيق.¹⁴

أفرزت العرفانية نظرية ابستمولوجيا معاصرة، ومناهج حديثة في التفكير العلمي والمنطقي، ليبدأ التنظير العرفاني في دراسة العلاقة بين اللغة والفتوحات العلمية هذا لأن اللغة تمثل أحسن الأدوات فهي تمثل المعلومات وبنائها في الدماغ الذي يمثل بدوره أحسن جهاز ذكي طبيعي¹⁵. وبالتالي تكون الدراسة شاملة تربط بين الجانب الفونولوجي أي الدماغ والعالم الخارجي وما يُسجل على الصفحة الذهنية ليحفظ ويستخدم عند الطلب أي استرجاعها عند التذكر.

ثالثاً-آليات بناء النحو العرفاني:

اعتمد لانقار في تنظيره لبناء النحو على قواعد أساسية، وهي الخطاطات والمنويل، إذ يرتبطان بوظيفة مشتركة وتكاملية اعتمدها لبناء النحو العرفاني، إذ تقوم المناويل على قضايا قائمة على خطاطات وصور مجردة.

1. الخطاطات:

خطاطة هي مايقوم به نشاطنا الجسدي و الفكري باعتبارنا بشرا نمتلك أجسادا لتفاعل مع محيطنا الخارجي وبفضل التفكير والتصور الإدراكي ، نتمكن من التواصل مع غيرنا، و يتضح ذلك من تدخّل علم النفس الإدراكي cognitive psychologie ليهتمّ بمسالك إنتاج الدماغ البشري للمعرفة وتنظيمه لها، وبطرائق التفاعل بين الذهن، والمحيط البشري، وأشكال تخزين المعلومات، واستعمالها وفق الخطاطات الذهنية.¹⁶ والخطاطات "تنشأ عن طريق عمليات عرفنية متداخلة متعددة متواصلة في الزمن. ومنطلقها إدراك الأشياء والأحداث في التجربة فتمثيلها وحفظها في شكل شبكات من المفاهيم والصور، ثم تنزع من التجربة المتكررة مظاهرها القارّة لينشأ مايشبه الإطار...ليكون هيكلًا عامًا منضّدا بما فيه من العناصر والعلاقات ينطبق على ملا نهاية من النماذج أو التحقيقات.¹⁷

فالإنسان في محيطه يسجل كل ما يستقبله ذهنه عن طريق المدركات نتيجة عمليات عقلية أخرى كالانتباه والتركيز إذ "يتمثل في الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكونة من ملايين العصبونات (النيورونات) المترابطة التي تشكل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني¹⁸ حتى يتم حفظها بمساعدة التفكير والتصور والخطاط هو المحول لهذه المدركات إلى مفاهيم وصور داخل الدماغ، حيث فهم الجملة وتمثيلها العصبي وتخطيطها الذهني كل هذا يحدث من خلال منظومة من المقولات والمفاهيم التي تتحكم في تمثيل العالم وتنميته ونمذجته¹⁹، فينضم كل

حسب نوعه وجنسه إلى خطاطات أخرى بانعزال عن الأنواع الأخرى. ليأتي التذكر يساهم في عملية استعادة المعلومات التي سبق وخزنت لموقف المناسب.

فالمتكلم عندما يستعمل وحدة أو بنية نحوية مخصصة إنما ينتقي صورة مخصصة بها ينضد الموقف الحاصل في ذهنه حيث ينتظم المعنى و يصوغه لغايات تواصلية،²⁰ ليتدخل الإدراك البشري بوصفه ظاهرة اتصالية عابرة للتخصصات، من أجل الوصول إلى مقارنة تهدف إلى الفهم والتفسير، فالبنية العرفانية للغة الإنسانية تقوم على ما يُسمى ب المزج التصوري بين الأشياء العينية في العالم، من خلال الاستعارات والمجازات والحذف ... إلخ، وعندما تدخل كل هذه المعرفة المتاحة عن الوجود عرفانيًا إلى الدماغ، تمتزج بالمخزون العرفاني والوجداني العام، فالفهم اللغوي للعالم إذن متفاعل مع مخزون هائل من المعرفة البشرية التي تشمل السلوك الإنساني والعلاقات والخبرات.²¹ فالمعارف تكتسب إذا ما مرت بالدماغ، تسترجع عند الاستدعاء بفضل الملكة اللغوية التي بدورها، تمثل الأداة للاسترجاع وتوظيف المخزون في التواصل اليومي.

لعل أهم ما يميز التنظير العرفاني، وهو ما يقوم عليه النحو والدلالة من مظاهر في الانتظام وتركيب الكلم وفق الأقسام النحوية والأبنية الصرفية التركيبية.

2. الخطاطة العرفانية:

وظيفة الخطاطة عملية ديناميكية تتم بطريقة مشابهة لعمل الآلة التي تقوم بفرز الأشياء المختلفة تنسيقها وتقسيمها بالبحث في أوجه التشابه بينها في الشكل أو الحجم أو الوزن أو غيره.²² ويتم هذا التصور على مستوى الذهن وتفاعله مع العام الخارجي.

يفرق لاکوف Lakoff بين ثالث من المفاهيم المترابطة: المدركات والصور الذهنية والخطاطة الصورة الذهنية هي تمثيل لمدركات من الأشياء والأحداث تمثيلاً ذهنياً أصله الإدراك البصري أو سمعي أو للمسي، والمدرك كان مشهداً أو شيئاً آخر وأن يكون ثرياً بالتفاصيل، فإذا كان فيه المدرك بصرياً مثلاً كان فيه كلّ جزء من الحقل البصري مليء بمضمون مُبتدل بتبدل بصره من تفاصيل عن الألوان والأشكال والأصناف؛ وعملية الإدراك في هذه الحالة تقوم بمجهودات ليصل لتركيز مما يستدعي ذلك الانتباه لفرز التفاصيل وتميزها. وبالتالي تتكوّن الصورة الذهنية من حيث التفاصيل والدقائق لتحافظ على أكبر قدر مكونات من المشهد لتكون الصورة تمثيلاً مثلاً لمدركات عينية.²³ "يكون" استقبال الحسية الناجمة من تفاعل الجسد والعالم المحيط، وتحويل هذه المعطيات إلى تصورات وتخزينها، وإيجاد تصورات مجردة من الأمثلة المحسوسة، وتعلم قواعد الاستجابة الملموسة من التجربة وتخزينها ذهنياً، كذلك تمثيل المواقف الحاضرة باستعمال التصورات التي تحيل إلى الإحساسات،²⁴ يتضح من ذلك أن العالم الخارجي له دور كبير في تأثيره المتعلم بانتباهه وتركيزه يتم تسجيل المدركات ليقوم الخطاط بدور دور الفرز والتصنيف لاسترجعها عند الطلب.

تمثيلاً لذلك: المشاهد التي أبصرها شخص أثناء زيارته لمطار قرطاج بتونس إذ سُجلت مشاهد عن طريق حاسة البصر، كمحتويات المطار من مجالات تجارية ومكاتب لقطع التذاكر تصبح مدركات في ذهنه أي صور ذهنية مُخزنة لزمن ما يستحضرها إذا ما وجد مطارا آخر في مدينة أخرى فتتمثل له صور المطار السابق

بتفاصيله، وقدت تساعده الأبعاد على التنقل ذهنيا في أرجاء المطار ما يستحضره من صور ذهنية للمطار الأول، بفضل الخطاطة استطاع استرجاع كل شيء عن المطار السابق.

استنتاجا لما سبق؛ الصورة هي تمثيل لموضوع ما والخطاطة قالب ثابت فقير وقد اجتمع المفهومين في واحد وهو ما أطلق عليه خطاطة الصور في حين يرى لاكوف Lakoff أن خطاطة الصورة بنية على غاية من العموم والتجريد وعلى غاية من المرونة ومن الفقر في التفاصيل بوجه تكون به أداة أولية يشتغل بها الذهن.²⁵

3. نماذج للخطاطات العرفانية:

يتمثل دور الخطاطات في مطابقة خطاطات المقترنة بالوحدات المعجمية بخطاطات مدركات الجسم الإنساني وصوره الذهنية التي اكتسبها من تجاربه اليومية وهي تمثيلات مبسطة للتجار بالفيزيائية المألوفة تستعمل لتصنيف ظواهر فيزيائية وذهنية أكثر تعقيدا، ومن أمثلتها الأوعية والخطوط والدوائر واللولب والمساحات، والدفع والخلخلة.²⁶

عرض لاكوف Lakoff تحليل بعض الخطاطات إلى رباعية الأركان²⁷:

1. التجربة المجسدة بما فيه من مظاهر تمثل مدى ارتباط الخطاطة بالتجربة الجسدية، وتفاعلها مع العناصر الخارجية.

2. العناصر البنيوية بما فيها من أركان أساسية لقيام الخطاطة.

3. المنطق الأساسي يتمثل في دور الخطاطة من تنظيم داخلي. وتتمثل النماذج الاستعارية الجارية التي تتحقق فيها الخطاطة وهي كمايلي: خطاطة الحاوية، وخطاطة الكل والجزء، وخطاطة الربط وخطاطة المصدر والمسلك والهدف. تمثيلا لذلك ببعض من نماذج.

1.1. خطاطة الكل والجزء:

✓ التجربة المجسدة: أن أجسادنا هي الكل وله أجزاء يمكن تحريكها عند التفاعل مع العالم الخارجي، والكل لا يقبل القسمة، ولا يمكن تمثيله لذاته، إذا احتمعت الأجزاء، فلا يوجد الكل، وتتمثل الأشياء في التجربة و المدركة من زاويتين كلا وبعضا.

✓ العناصر البنيوية: الكل، الأجزاء، و نمط في التشكيل.

✓ المنطق: إذا كان "أ" جزء من "ب" ولا يكون الشيء جزءا من نفسه، ولا وجود للكل ما لم تُجد الأجزاء، والكل يتشكل من أجزاء على نمط، وإذا حلّ الكلّ في مكان ما حلت الأجزاء كذلك.

ومن التصوّرات القائمة على خطاطة ومن التصوّرات القائمة على خطاطة الجزء والكل؛ الأسرة تمثل الكل ويتألف من أجزاء؛ وهما الزوجان على الأقل والأطفال، الفصل بين العنصرين الأساسيين أي الزوجين ينجر عن ذلك زوال الكل أي زوال الأسرة، وبالتالي انحلال الأجزاء أي اندثارها.

2.1. خطاطة المصدر - المسار - الهدف:

✓ التجربة المجسدة: التي أساسها حركة الجسد في الفضاء المكاني عندما نتحرك من نقطة الانطلاق عند حركة التنقل ونقطة وصول وما بينهما مسلك يتمثل في جميع النقاط المسترسلة تعمها الوجهة أو الاتجاه، كل هذا بإمكاننا رسم المسار في أذهاننا.

✓ العناصر البنيوية: المصدر (نقطة الانطلاق)، الاتجاه إلى الهدف (نقطة الوصول) المسار (المواضع المسترسلة بين الانطلاق والوصول).

✓ المنطق الأساسي: كل انطلاق من مصدر إلى نقطة الوصول عبر مسلك يقتضي المرور بموضع من المواضع الوسيطة مابينهما²⁸.

تمثيلا لذلك بنماذج استعارية: الغايات والأهداف على أنها وجهات ونقاط انطلاق ووصول بتحقيق الأهداف، على أنه مرور على مسار طرفيه بداية ونهاية، فتكون رحلة نجاح غاية يتوصل إليه بعد أن قطعت مسافة طويلة في الكد والعمل. فالخطاطات من آليات بناء النحو العرفاني، تنظم مدركاتنا الذهنية وفقا للنشاط الجسدي والمعارف الذهنية المكتسبة عن طريق التفاعل مع العالم الخارجي فالخطاطات تنشأ مرتبطة بالبيئة وبما يتعلق بها من ثقافة مختلفة ومعارف كثيرة تساعد على الاكتساب اللغوي والخطاطات "تؤسس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"²⁹.

4. أهمية الخطاطات ودورها في عملية التعلم:

يبني خطاطات ثم يعيد النظر فيها كلما حصل على معلومات جديدة، فيكون له ثلاثة مواقف من كل معلومة جديدة بناء على علاقتها بالخطاطة التي يملكها.

- يمكن أن يصهرها في خطاطاته دون أن يغير من الخطاطة الأكبر شيئا.
- أو يبدل الخطاطة القديمة في ضوء معارف جديدة.
- أو يعيد البناء في قيم خطاطة جديدة تكون أرقى مما لديه، إذا بها فجوة مابين الخطاطة القديمة المكتسبة والخطاطة الجديدة المكتسبة³⁰.

2. المناويل العرفانية المؤتملة:

المناويل هي عبارة عن أبنية تنظم تصوّرنا للعالم ولكل ما يحيط بنا، فهي الحاكمة له تقوم على خطاطات وصور مجردة كتلك التي اعتمدها لانفاكر Langacker في نحوه العرفاني، ولها منزلة تجعلها قريبة جدا مما يُعرف في الدراسات الدلالية الأخرى بالأنماط الكبرى³¹.

وضع لانفاكر Langacker تصوّر تنظيم الإنسان لمعلوماته ومعارفه، فكانت المناويل والفرضيات والتي اعتبرها أصولا في النحو العرفي تؤسس له مفاهيم وتصورات لبناء المعارف، ويرى أنّ المقولة الوطيدة جزء من معرفة المتكلم بالمواضعة اللغوية، وأنّ المنوال ذا الأساس الاستعمالي يتطلب تدرج كل القيم المتواضع عليها حول عنصر لغوي على أنّها وصف أذن للمعطيات التجريبية³². وبتدخل العملية العرفانية بدورها تستخدم القدرة على تجميع هذه القيم، وتستخدم القدرة على تحويل المجردات إلى مدركات مادية، وتستقر المعرفة الجديدة.

2.1. دور المناويل المؤتملة:

المناويل المؤتملة فهي عبارة عن مجموعة منظمة حسب مبادئ خاصة لتنظيم المعارف وتوفير القاعدة التصورية لمجموعة من الأبنية النحوية، إذ تقوم خطاطات وصوّر مجردة لاعتمادها لانفاكر Langacker في نحوه العرفاني، وكذلك على ضروب من الجوازات والتوسعات القائمة على الاستعارة وعلى ضروب أخرى قائمة على الكناية³³. إذ يمثل تنظيره في مقولة الثلاثاء تحددت خصائصها استنادا إلى لمنوال المؤتمل منظم لدورة طبيعية تمثلها حركة الشمس وتعاقب الليل والنهار، الدورة تمثلها أيام الأسبوع والمتتالية وبالتالي يوم الثالث من الأسبوع أي من دورة الشمس هذه الدورة تعدّ مؤتملة³⁴ إذ لا وجود لوحدة سبوعية الأيام في ذاتها ولا في الطبيعة أو العالم المادي وإنما هي اصطناع الانسان وإنشائه فهي مقولة مدركة من ثقافته بحسب المواضعة.

وفي مثال bachelor في اللغة الانجليزية أعزب وكذلك في العربية مقولة من نفس النوع يتحدد مدلوله ما داخل المنوال "أعزب" هذا الذي لا يحقّ له الزواج إلا بعد سنّ معيّن، ولا يقبل الزوجات، وصادف هذا المنوال وضعيات مخالفة كالبابا كهل غير متزوج، والأرمل كذلك، فهذا لم يحسب لها المنوال إذ اختلفت خصائص الأعزب عن الحالتين إن احتوت على خاصية واحدة.

إذ يرى bachelor درجات الانتماء لبعض العناصر أو المقولات الفرعية إلى المنوال ثم إلى النموذج النمطي إذا توافقت وتشابهت الخصائص. فمقولة أعزب لمتشابه الوضعيات الموجودة في الواقع وتوافقت في حالة واحدة عدم الزواج وبالتالي المنوال المؤتمل لمقولة bachelor ومقولة البابا أن يكون كهلا غير متزوج، هذا التشابه ضعيف وبالتالي يكون البابا عنصر غير نموذجي، وغير نمطي، وممثل "أ" ضعيف المقولة³². bachelor لهذا تكون درجة الانتماء ضعيفة بالنسبة لهذا المنوال الذي لم يحسب له حساب.

2.2. المناويل العرفانية الأساسية:

اعتمد لانفاكر Langacker على المناويل العرفانية في تنظيره لتنظيم المعارف النحوية أهمها:

1. منوال لعبة الكريات الخشبية:

منوال لعبة الكريات الخشبية، هي أن تكون أشياء وذوات متفصلة متميزة يمكن إدراكها بالحواس، إذا ماتحركات في الفضاء وتفاعلت، فيما بينها وأثرت كلّ في الآخر عند الالتقاء أي أن "تنشأ الحركة عن الطاقة التي تسبقها بعض الأشياء والذوات من مخزونها وبوسائلها الخاصة، فيحين توجد أشياء وذوات أخرى ليس لها طاقة، ولا تملك أي قوّة في ذاتها، وإنما يمكنها أن تكتسب الطاقة التي ترد عليها أو تأتيا من الخارج³⁵". وفي الحركة الثانية يلتقي بالذات الثابت وينقل له الطاقة فيصبح متحرك بدوه.

يرى لانفاكر Langacker هذا التصور في منوال لعبة الكريات الخشبية، له تأثير كبير على نشاطنا اليومي على التفكير الخاص والعلمي، هذا التمثيل أساسي في النشاط العرفاني يقوم بتنظيم لمختلف المعلومات والمعارف التي نتعلمها يوميا وفي كلّ لحظة.

من هذا التصور يستخرج لانفاكر Langacker القاعدة لمجموعة من الأبنية النحوية خاصة للمقولتين اللغويتين مقولة الاسم ومقولة الفعل، ويأتي تمثيله كالاتي؛ فالذوات المادية المتفصلة المتميزة تمثل نموذج

مقولة الاسم والتفاعل بينهما يمثل مقولة الفعل، وجودهما في أغلب لغات العالم، فهما مكونا البنية النحوية يتناسبان مع اعتبار منوال لعبة الكريات الخشبية، فهي نموذجاً مثالياً يقوم عليه الفكر عامة و التفكير البشري.

36

في النحو العرفاني سلسلة أحداث نتيجة تحرك الشيء الذات اتجاه الثابت فتنتقل الطاقة إليه ليتحرك بدوره و هو يدفع الشيء الثاني إلى أن تنفذ الطاقة، وينتهي الحدث إلى الذات الأخيرة، أو ما يسمى بديل السلسلة تمثيلاً لذلك من الأحداث المتولدة بعضها عن البعض هو ذاك الحدث الذي يتفاعل فيه الرأس مباشرة مع الذيل بدون واسطة، إذ لا يتفاعل إلا آذاتان و يقع الدور على الفاعل *l'agent* والمفعول *le patient* والوسيلة *instrument*، والمستفيد من الحدث *le bénéficiaire* بحسب الدور الذي يقوم به كل ذات حسب موقعه في السلسلة من الأحداث³⁷. كان هذا التمثيل للمنوال العرفاني للسلسلة أحداث مثلت حركة المقولات التي أعطت القاعدة النحوية، والمقولة هي جزء من معرفة المتكلم بالمواضعة اللغوية، والمهم في هذا طريقة إدراكه للمقولات مع مراعاة طبيعة المواضعة أثناء تفاعله في ذهنه مع باقي القدرات العقلية و تناسبها مع السياقات اللغوية التي يستخدمها .

2.المشاهد:

هو المنوال العرفاني الأساسي الثاني اعتمده لانفاكر Langacker مثله في الدور الذي يقوم به المتفرج من الخارج هذا وهو بحد ذاته المدرك ما تحرك في داخله من "الفاعلين والمتفاعلين ويتميز المشاركون في الحركة بأنهم أصغر مكونات الإطار المحيط بهم وأكثر حركية منهم، هكذا فالإدراك الحسي وكذلك التصور إنما هو تنظيم خاص في بناء أو إعادة بناء لمكونات وضعيّة من الوضعيات أو مشهد من المشاهد³⁸.

كان هذا التصور اعتمده لانفاكر Langacker في تنظيره لوضع آليات بناء النحو العرفاني، منها الخطاطات والمناويل فهي مفاهيم قبللغوية، *Des notions prèlinguistique* يمكن اعتمادها في تصور حدث ما "حدث مثله باعتباره سلسلة من الأحداث يشارك فيها ثلاثة أطراف *participants* هي القائم بالفعل والوسيلة أو الآلة والمفعول به بطرق مختلفة انطلاقاً من نفس القاعدة الدلالية التصورية، لاعتبار أن كل طريقة يناسبها بناء نحوي متميّز³⁹.

إنّ أهم ما يقوم عليه التنظير العرفاني، في بناء النحو هو ما يقوم عليه النحو والدلالة من مظاهر في الانتظام وتركيب الكلم وفق الأقسام النحوية، "النحو باطني *Internal grammar* فهو لغة من اللغات يتساوى مع بعض القدرات اللغوية الذهنية والإدراكية والفزيائية، وهي قدرات غير مستقلة عن بعضها البعض⁴⁰، فالنحو تصور من تنظيم العرفانية التي يمكن فيها المتكلم تجميع الموضوعات اللغوية القائمة في تفاعل الدماغ وما هو مدرك من العالم الخارجي.

ارتكزت النظرية النحوية على المساواة بين المعنى و التصور أي أن تكون "الوحدة المعجمية محددة صوتياً و مفهوماً بالتقارن الرأسي بين شكلها الصوتي ومعناه دون حاجة إلى وسيط توليفي إعرابي"⁴¹ أي بدون قيود

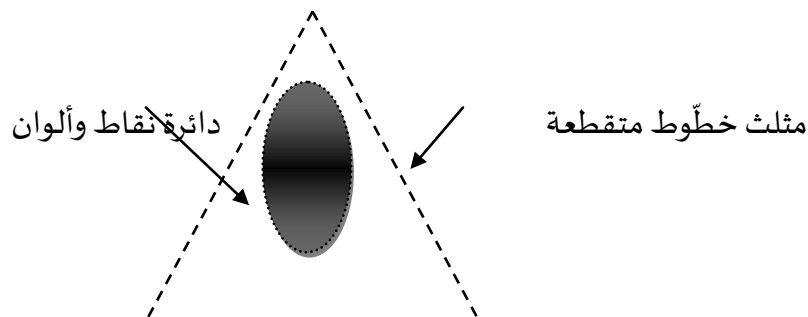
البنية الإعرابية خاصة الإعراب بالحروف، إذ يرفض لانفاكر الإعراب و يراه "غير قابل للتعليم إلا إذا عمّد المتعلّم إلى استعمال البنية العميقة للجملة و يرى أن متعلم اللغة إذا تعلّم المعنى فإن الإعراب يُفهم ألياً.⁴² تشمل الخطاطة schéma؛ على عدد محدود جدّاً من الخصائص والتفاصيل، أي هي صورة إجمالية عامة لمختلف العناصر التي تنتمي إلى المقولة كمقولة الاسم، أو مقولات صرفية نحوية أخرى.⁴³ وهي مقولات يستند إلى مفهوم الصورة المجردة.

- و أهم ما يميّز التصوّر الخاص بالدلالة يقترح لانفاكر Langacker مدلولاً أو مدلولات le prédicat (المحمولات) للإشارة إلى الأبنية الدلالية بالاعتماد على المجالات العرفانية التي تحيل إلى كل ما يكون مجرد تجربة حسية أو حتى نظاماً كاملاً من المعارف .
- الإشارة إلى الزمن: الذي يضع الحدث المصوّر في حيّز معين باعتبار زمن التلفظ. بينما تمثل لجهة المشاركين في الحدث. ثم الإدراك الحسيّ للألوان.

تحدد المحمولات الدلالية بالنسبة إلى الميادين العرفانية، إذ يثير كلّ محمول أكثر من ميدان معرفي يخص مظاهر مختلفة من الكيان المجنّب، يقسم لانفاكر Langacker المحمولات إلى: المحمولات الاسمية Nominal Prédication و المحمولات العلاقية Prédication Prédication.⁴⁴

يتمثل المدلولان في طريقة التنظيم الذهني والتشكيل العرفاني للمضمون تمثيلاً لعبارتين: " يكتب " و " كتابة " ؛ العبارتان لهما نفس المضمون إلا أنّهما يختلفان من وجهة نظر العمليات العرفانية التي تنظم ذلك المضمون المشترك للعبارتين؛ فمدلول الاسم يشتمل في بروز العلاقات فإنّه يبرز الأشياء التي تربطها بها بينما المدلول الفعلي يتمثل في بروز العلاقات و إن اشتمل على أشياء و ذوات . و الفرق بين المدلولين يرجع إلى التباين القائم في التنظيم المعرفي الذي يفرضه على المدلولين وإن كان المضمون بينهما مشترك، فالمدلول الاسمي يتمثل في بروز العلاقات، والمدلول الفعلي تمثّل في حيّز الذي يشتمل الأشياء و العلاقات .⁴⁵ كان المدلول الاسمي أسبق في الترتيب عن المدلول الفعلي .

الكيان: مجموع عناصر متصلة تمثّل شكلاً عاماً، أو عناصر منفصلة التي يُعيّنُها، و يطلق الكيان على الأجزاء الصغيرة أو المفردة ك خطط المثلث، و نقاط دائرة، اللون، أو على الروابط أو العلاقات بين المثلث و الدائرة. و للكيان قدرة على تعيين الأشياء المتقابلة و بخاصّة الأشياء المفردة أو المتعاقبة التي تجعله متصوّرًا يضمّ متصويرين كبيرين استخدمهما لانفاكر Langacker في تقسيم الكلام.⁴⁶



المحمولات الاسمية و المحمولات الفعلية⁴⁷

الكيان مجموع عناصر متصلة تمثل شكلا عاما، أو عناصر منفصلة. و يطلق الكيان على الأجزاء صغيرة، أو مفردة (نقطة، خط، دائرة، مثلث، لون) وعلى الروابط ما بينهما أو علة العلاقات بين المثلث و الدائرة.⁴⁸

✓ المثلث و الدائرة يمثلان جهتين تدركهما عملية ذهنية التي تربط بين الخطوط في الشكل الأول و النقاط في شكل الثاني، و هذا نتيجة تجربتنا التي قادتنا إلى هذه الكيانات و هي جزء من الاحداث العرفانية، إذ تمثل الدائرة جزءا من جهة أعلى للمثلث الذي يمثل فضاء أعلى يحوي الدائرة، فهو الميدان المباشر لها.

✓ المحمول الاسمي هو محتوى تصويري مجرد أو سكيما (شيء) حسب قول لانفاكر Langacker: هو شبه رمزية يحسم قطبها الدلالي السكيما (شيء) و شيء يحيل على عملية عرفانية تستخدم القدرة لتجميع الكيانات على أساس من اتصالها أو تشبيهها و كذلك القدرة على تحويل المجردات إلى مدركات Réification، و لها القدرة على تجميع شتات الكيانات معا لخلق وحدته Oneness.⁴⁹

✓ المحمولات العلاقية تتطلب القدرة على توسيع و تمديد الكيانات لترتبط بغيرها.

✓ العلاقات تحتاج لكي تُدرك إلى قوة قابلية التمدد Expansive force و القدرة على تمدد Reaching out حتى لا يدرك الكيان في منعزل بل جزء من تشكيل يحوي بدوره تشكيلا آخر.

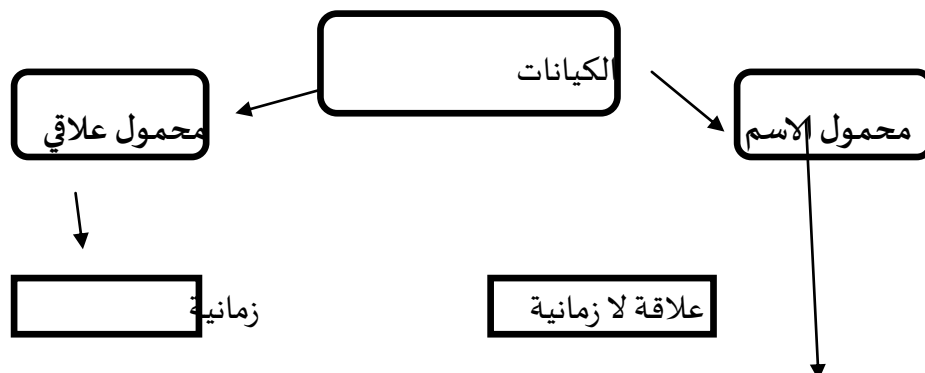
✓ المحمولات العلاقية قسمين:

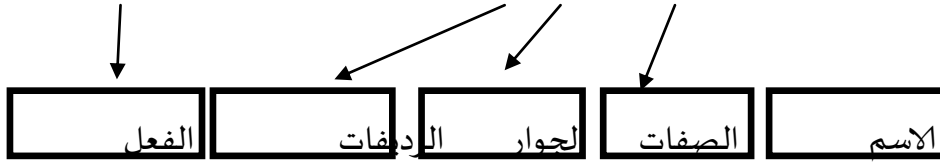
— محمولات علاقية زمانية تضم الأفعال .

— محمولات علاقية لا زمانية تضم الصفات Adjectives و الرديفات Adverbs و الجوار

Prépositions في الانجليزية.⁵⁰

المخطط التالي يبرز أقسام الكلام حسب لانفاكر Langacker





نماذج من المحمولات الاسمية والعلاقية، وهي طريقة يُبنى بها محتواها المعرفي.⁵¹

— فالاسم خطاطة لما دلّ على شيء مطلق.

— الفعل خطاطة لما دلّ على عملية وهي علميّة.

— الوحدة العلائقية ما دلّت على علاقة لا زمانية مطلقاً.⁵²

التمثيل لأقسام الكلام فالشيء والعملية مفهومان مكونان للقاعدة النحوية على أنهما بنيتين و أنهما وحدة رمزية تكون مركبة خطاطية في آن واحد.

كانت هذه أقسام الكلام عند لانفاكر Langacker حسب منهجيته و مفهوميته و بمراعاة معطيات عرفانية، فهي ليست أقسام الكلام حسب ما قعدله نحاة العرب، بل تصور عرفاني أسسه منطلقات إدراكية تصورية يتأسس عليها النحو العرفاني.

. الخاتمة:

الظاهرة المطروقة هي آليات بناء النحو العرفاني، فهي تختلف عما نظره نحاة العربية، فهي من تنظيم تصور عرفاني الي بنى النحو عل أسس النحو انطلاقاً من تصور إدراكي من خلال تحليل استراتيجي عرفاني لعمليات ذهنية تصوّرية يسجلها الإنسان في ذهنه ونمط تخزينه للمعلومات وتحويله المدركات التي جمعها الخطاطات وهي الملكة التي تقوم على تجميع الأحكام مهمتها التأليف بين مختلف أشكال المدركات والصور والمفاهيم، وهي قوالب ثابتة تقوم بتركيب و تكوين لتمثيلات ذات معنى.

أهم النتائج:

- بناء النحو يقوم على أسس معرفية في شكل خطاطات، و مناويل عرفانية مؤمثلة، ومناويل ثقافية.
- عملية تعليم النحو وترسيخه في الذهن قائمة على ثالث من المفاهيم المترابطة: المدركات والصور الذهنية والخطاطة؛ الصورة الذهنية هي التي تمثل مدركات من القواعد النحوية تمثيلاً ذهنياً أصله الإدراك البصري أو سمعي أو اللمسي، والمدرك ما حضره المتعلم و استعابه يُكون عنده ثروة من التفاصيل، و المفاهيم، فإذا كان فيه المدرك بصرياً مثلاً كان فيه كلّ جزء من الحقل البصري مليئاً بمضمون مُبتدل بتبدله بصره من تفاصيل عن الحروف و الحركات؛ و عملية الإدراك في هذه الحالة تقوم بمجهودات ليصل للتركيز مما يستدعي ذلك الانتباه لفرز التفاصيل وتمييزها. وبالتالي تتكوّن مفاهيم ذهنية، تسترجع بفضل الذاكرة وقت الطلب.
- الآلية الثانية هي التأويلات العرفانية وهي المرجع في تكوين المقولات في تأسيس النمطية، إذ تتحدد هذه المناويل بتوافق المقولات في الذهن وعلى هذا الأساس يكون الانتماء إليها.

- إنَّ ضبط أقسام الكلام في النحو العرفاني يقوم على أساس إدراكي معرفي أي على أساس تناسب تصورنا مع لوضعيات وفق ما اكتسبه المتكلم من تجارب عن بيئته.
- القوة موجودة في أجسادنا ذاتها هي عبارة عن تفاعل لعدد من القوى، تسبب في توليد سلسلة من الأحداث مثلت حركة المقولات التي أعطت القاعدة النحوية.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ - جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مج 11، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مادة [عَرَفَ]، ص 140
- ² - علي الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003، ص 218.
- ³ - عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص 240
- ⁴ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس-جوان 2022م، ص 27
- ⁵ - عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب القاهرة 2014، ص 53
- ⁶ - عبد الجبار بن غربية: مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانفاكر)، ط 1- مسكيلياني للنشر تونس-2012م، ص 18
- ⁷ - المرجع نفسه، ص 11
- ⁸ - ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عربية، ص 116.
- ⁹ - ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عربية، ص 116 و 117.
- ¹⁰ - ينظر: صلاح الدين يحيى: نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيد - التركيب المعجم، الدلالة-مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب المجلد 40، عدد 2، مسيلة، 2020 ص 113
- ¹¹ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص 96.
- ¹² - ينظر: المرجع نفسه، ص 98
- ¹³ - ينظر: عبد الجبار بن غربية: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 7
- ¹⁴ - توفيق قريرة، الاسم والاسمية والأسماء-مقاربة نحوية عرفانية-ط 1-مطبعة التفسير الفني-صفاقس، 2010، ص 58
- ¹⁵ - ينظر: الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص 16
- ¹⁶ - صالح الهادي النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي الاستعارة أنموذجا، ندوة الدراسات البلاغية، ص 814
- ¹⁷ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 19
- ¹⁸ - محمد الوحيد ي: اللسانيات وعلم المعرفة.. اللغة وبنية المعرفة البشرية»، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، سبتمبر، 2018، ص 173 نقلا عن عبد الرحمن محمد طعمة، وعفاف موقوود.، و. الحبيب المقدميني، و. صابر الحباشة: دراسات في اللسانيات العرفانية-الذهن واللغة والواقع-ط 1-دار وجوه للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الرياض 1441 هـ - 2019م، ص 16.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص 16
- ²⁰ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 100
- ²¹ - دراسات في اللسانيات العرفانية-الذهن واللغة والواقع، ص 21
- ²² - عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب القاهرة 2014، ص 133
- ²³ - ينظر: الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 165
- ²⁴ - هادي نهر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ط 1 شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 1229 م، ص 63
- ²⁵ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 169.
- ²⁶ - عبد الدايم عبد الرحمان: آليات اشتغال الاستعارة العرفانية من منظور لايفوف وفوكوني، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 40 عدد 4، مسيلة، 2020.
- ²⁷ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 169
- ²⁸ - المرجع نفسه، ص 196
- ²⁹ - عطية سليمان أحمد: الاستعارة القرآنية النظرية العرفانية، ص 55

- ³⁰ - ينظر: الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 180
- ³¹ - ينظر: عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 54، 55.
- ³² - ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية، ص 80
- ³³ - ينظر: عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 54، 55.
- ³⁴ - ينظر: المرجع نفسه.
- ³⁵ - عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 55
- ³⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 56
- ³⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص 57.
- ³⁸ - ينظر عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني ص 58
- ³⁹ - المرجع نفسه، ص 59
- ⁴⁰ - توفيق قريرة، الاسم والاسمية، ص 15
- ⁴¹ - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 70
- ⁴² - ينظر: منية لعبيدي، التمثيل الدلالي للجملة - منوال جاكندوف 1983 - ط 1 - منشورات علامات مكناس - المغرب - 2013 م ص 78
- ⁴³ - ينظر: عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 75، 76، 77.
- ⁴⁴ - ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية، ص 85
- ⁴⁵ - ينظر: عبد الجبار بن غريبة: مدخل إلى النحو العرفاني، ص 75، 76، 77
- ⁴⁶ - ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية و الأسماء - مقارنة نحوية عرفانية، ص 84
- ⁴⁷ - المرجع نفسه ، ص 84
- ⁴⁸ - المرجع نفسه، ص 84
- ⁴⁹ - ينظر توفيق قريرة، الاسم والاسمية و الأسماء - مقارنة نحوية عرفانية، ص 85
- ⁵⁰ - ينظر المرجع نفسه ، ص 85
- ⁵¹ - ينظر المرجع نفسه ، ص 86
- ⁵² - الأزهر الزناد: نظريات لسانية عربية، ص 117.